ISLAMIC SCIENCES JOURNAL (2026) Vol (17) Issue (6)section (1): 161-180
DOI: https://doi.org/10.25130/jis.26.17.6.1.8

IRAQI Academic Scientific Journals
العراقية
ISSN:2073-1159 (Print) E-ISSN: 2663-8800 (Online)
ISLAMIC SCIENCES JOURNAL
Journal Homepage: http://jis.tu.edu.iq
ISJ
Islamic Sciences

Doctrinal Fortification in Sūrat al-Aʿrāf: A Thematic Study

Adnan Rafiq Namiq[1]

a) Tikrit University – College of Islamic Sciences – Department of Fundamentals of Religion.

Professor Dr. Abdullah Najm Abdullah[2]

b) Tikrit University – College of Islamic Sciences – Department of Fundamentals of Religion.

KEY WORDS:

Doctrinal,
Fortification,
Sūrat al-Aʿrāf,
A Thematic Study

ARTICLE HISTORY:

Received: 27/ 1 /2026

Accepted: 29 / 3 /2026

Available online: 10 / 6 / 2026

©2022 COLLEGE OF ISLAMIC SCIENCES ISLAMIC SCIENCES JOURNAL , TIKRIT UNIVERSITY. THIS IS AN OPEN ACCESS ARTICLE UNDER THE CC BY LICENSE http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

ABSTRACT

This paper argues that creedal fortification constitutes an epistemic and civilizational necessity in light of cultural challenges that threaten the identity of the Islamic world. It further maintains that creedal fortification is not merely a provisional defensive mechanism grounded in temporary human reasoning; rather, it is an integrated Qur'anic system rooted in divine revelation, harmonizing its doctrinal foundations with epistemic, educational, and civilizational dimensions. The study adopts Sūrat al-Aʿrāf as a paradigmatic model upon which this framework may be constructed, given its juxtaposition of the paths of guidance and misguidance, its narratives of vicegerency and empowerment, and its articulation of the divine patterns governing civilizational rise and decline.

ISLAMIC SCIENCES JOURNAL (ISJ ISLAMIC SCIENCES JOURNAL (ISJ)

[1]-*Corresponding author:***enasadel@st.tu.edu.iq**

2-*Corresponding author:***ar230014is@st.tu.edu.iq**

التحصين العقدي في سورة الأعراف دراسة موضوعية

عدنان رفيق نامق [a]

أ.م.د. عبدالله نجم عبدالله [b]

a) قسم العقيدة والفكر الإسلامي , كلية العلوم الإسلامية , جامعة تكريت–العراق.
b) قسم العقيدة والفكر الإسلامي , كلية العلوم الإسلامية , جامعة تكريت–العراق.

الخلاصة:

تُبرر هذه الورقة البحثية التحصين العقدي كضرورة معرفية وحضارية في ظل التحديات الثقافية التي تُهدد هوية العالم الإسلامي, ونرى في بحثنا أن التحصين العقدي ليس مجرد آلية دفاعية قائمة على التفكير البشري المؤقت، بل هو نظام قرآني متكامل قائم على الوحي الإلهي، يدمج جوانبه العقائدية مع الأبعاد المعرفية والتربوية والحضارية, وقد اختار سورة الأعراف نموذجًا يُبنى عليه هذا الأساس، لاحتوائها على طريقي الهداية والضلال، وقصص عن الإستخلاف والتمكين، وسنن النهوض والانهيار، ويخلص البحث إلى أن التحصين الفكري مبدأ قرآني أصيل وقاعدة لكل مشروع حضاري، يُجسَّد في إنسان واعٍ مستقيم يسعى إلى الإصلاح دون تفريط في الثوابت.

الكلمات المفتاحية :التحصين , العقدي , سورة الأعراف , دراسة موضوعية.

المقدمة[1]

تتناول هذه الورقة البحثية التحصين العقدي باعتباره واجبًا معرفيًا وحضاريًا يجب القيام به بما يتناسب مع سرعة التحولات الثقافية والفكرية التي تهدد القيم والهوية الدينية في العصر الحديث, وبالتالي فإن التحصين العقدي ليس عملية بناء نضج فردي، بل هو بناء منهجي يتضمن فاعلية مزودة بأدوات قادرة على التفاعل المثمر دون انحلال أو فقدان أمام أي شكل من أشكال الواقع،وتعتمد الدراسة سورة الأعراف من بين سور أخرى في القرآن الكريم، لما تحتويه من إطار نموذجي حول مسارات الإنسان بين الهداية والضلال، والإستخلاف والانحراف، والتمكين والابتلاء، بالإضافة إلى تأكيدها على مركزية الإيمان، ووحدة القرآن والسنة، وتصحيح المفاهيم، وتفكيك الباطل، وبناء الوعي السليم، وتخلص الدراسة إلى أن إدارة شؤون الأرض وتحقيق الإصلاح لا يمكن إنجازهما إلا من خلال عقل واعٍ مستنير بالوحي الإلهي، ضمن إطار مشروع حضاري جماعي قائم على الثوابت والتمكين.

أهمية البحث:

1. إن الحديث عن الحصانة الفكرية يستدعي التأكيد على ما يمكن تسميته جهاز مناعة فكري من أجل حماية فكر الأمة من الغزو الثقافي والتسميم الحضاري الذي يأتي عليها بالإضعاف بل المسخ والإبطال، وهذا يستلزم نفرة حضارية شاملة على مختلف الأصعدة في الأمة، ولذلك من الخطأ البيِّن أن ننظر إلى سياق السورة موضع البحث في إطار الحصانة الفكرية الفردية، بل هي تأخذ بالاعتبار الحصانة المجتمعية.
2. والقضية الثانية التي تظهر أهمية الموضوع هي ضرورة وضع خرائط فكرية لأبرز وأخطر تمثلات الغزو الفكري في سياقه المعاصر مع الإشارة الإجمالية إلى قسيماتها في سياقها التاريخي.

أسباب اختيار الموضوع:

يمكن حصرها في ثلاثة أسباب موضوعية:

الأول: مقاصد ذاتية قائمة في نفسي تدفعه إلى خوض غمار هذا المجال؛ فقد كانت رغبته منذ بدايات التخصص بالدراسات القرآنية أو جعلها محور دراسته في تخصصه العلمي.

الثاني: حاجات موضوعية في واقع المسلمين اليوم تدفع باتجاه البحث عن سبل ومسالك ومسارات تأخذ بالناس إلى جادة الاستقامة والاستهداء بالحق، ودفع عوارض الباطل وأهله.

الثالث: الإسهام ولو على استحياء وتواضع في رفد المكتبة الإسلامية بأبحاث جادة يستعين بها الباحث خصوصًا والمسلم عمومًا.

[1] هذا البحث مستل من رسالة الماجستير الموسومة بـ (الحصانة الفكرية في سورة الأعراف – دراسة موضوعية).

منهجية البحث:

اقتضت طبيعة هذا البحث اعتمادَ المنهج الموضوعي في دراسة سورة الأعراف؛ للكشف عن الأسس القرآنية التي يقوم عليها التحصين العقدي، وجمع الآيات ذات الصلة بمقوماته ومجالاته وعوامل نقضه، ثم ردِّها إلى محاور كلية تنتظم في بنيةٍ مفهومية واحدة. وقد اقترن ذلك بالمنهج التحليلي؛ من خلال قراءة الخطاب القرآني في سياقه السُّوري، والنظر في انتظام ألفاظه ومعانيه، واستنطاق دلالاته العقدية والتربوية والحضارية، بما يُظهر الصلة بين بناء الإيمان، وتصحيح التصور، وتقويم السلوك، وربط ذلك كلِّه بمقتضيات الاستخلاف وسنن الابتلاء وشروط التمكين. كما أفاد البحث من المنهج الاستقرائي في تتبع المواضع القرآنية داخل السورة التي تُبرز مسارات الهداية والانحراف، ونماذج الثبات والزيغ، وآليات بناء الوعي المؤمن في مواجهة أسباب الغواية والفساد, ولمَّا كان موضوع التحصين العقدي يتجاوز حدود العرض النظري إلى بيان وجوه الامتداد المعرفي والتطبيقي، فقد استعان البحث بالمنهج المقارن في حدود ما يخدم غايته، من خلال الموازنة بين أنماط البناء القرآني للتحصين وأنماط الانحراف التي عرضتها السورة في مشاهدها التاريخية والنفسية والاجتماعية, واعتمد البحث، في إجراءاته العلمية، على تفسير الآيات في ضوء أقوال المفسرين، مع الإفادة من السنة النبوية بوصفها بيانًا للوحي ومكمِّلةً لدلالاته، فضلًا عن توظيف المصادر العقدية واللغوية والدراسات المعاصرة ذات الصلة؛ وصولًا إلى بناء تصور علمي متماسك يبيّن أن التحصين العقدي في سورة الأعراف ليس معالجةً جزئيةً لصور الانحراف، بل نسقٌ قرآنيٌّ شاملٌ لإعادة بناء العقل المسلم وحماية هويته الفكرية والإيمانية.

الدراسات السابقة:

1. التحصين الفكري من خلال عقيدة أهل السنة والجماعة. د. ماهر بن عبد الرحيم خوجهأستاذ مشارك بقسم العقيدة– كلية العقيدة والدعوة– الجامعة الإسلامية– المدينة المنورة– المملكة العربية السعودية، بحث نشر في مجلة العلوم التربوية والدراسات الإنسانية، العدد(46) شهر حزيران 2025م.
2. الحصانة الفكرية في ضوء الحديث النبوي الشريف. محمد الشريفين، دار الإفتاء الأردنية، كلية الدراسات الفقهية والقانونية، جامعة آل البيت، تاريخ الاطلاع: 22-3-2025م.
3. الحصانة الفكرية في ضوء السنة النبوية: دراسة موضوعية. إسراء عطا إبراهيم خليل، رسالة ماجستير في الحديث، كلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية بغزة، 1435هـ/2015م.

خطة البحث:

– المقدمة: تتضمن أهمية الموضوع وإشكاليته والدراسات السابقة والخطة.

– البحث, ويتكون من ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أثر القرآن ودوره في التحصين الفكري.

المطلب الثاني: الإنسان بين مقتضيات الاستخلاف وعوامل الانحراف.

المطلب الثالث: مقومات التمكين الحضاري في نماذج سورة الأعراف.

المطلب الأول: أثر القرآن ودوره في التحصين العقدي.

ينقسم هذا المطلب إلى ثلاث محاور، يختص **الأول** ببيان علاقة الإنسان ببيئته الإيمانية عبر صلته بالله تعالى وكتابه ونبيه ﷺ بوصفها ركائز لضبط الوعي العقدي والسلوكي، من خلال تفكيك جناية التجريد وتزييف المفاهيم، والتحذير من الانسلاخ وسقوط النخبة كما في قصة ﴿ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا ﴾، مع التأكيد على خطورة التبعية العمياء والتقليد المذموم، أما المحور الثاني فيتناول دور القرآن في مواجهة الغزو الفكري، أمّا المحور الثالث: السُنة النبوية كبيانٍ للقرآن (وحدة المصدر) لمواجهة الغزو الفكري.

المحور الأول, علاقة الإنسان ببيئته الإيمانية يتضمن هذه النقاط الرئيسة:

أولاً: علاقة الإنسان مع ربه: وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِى ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف: 54]، تؤكد الآية حصرية الخلق والحكم والعبادة لله تعالى، وتجعل الإيمان به وطاعته أساس الوعي العقدي السليم الحامي من الشرك والتقليد الباطل، والمثمر للطمأنينة والاستقرار النفسي في مواجهة تحديات الحياة [1].

استنادًا إلى ما تبيَّن من تفسير هذه الآية، يمكن القول إنَّ تُوجِّه الإنسان إلى أنَّ التحصين العقدي يبدأ من استحضار انفراد الله بالخلق والأمر، ومن ثمَّ الانقياد له وحده في الاعتقاد والسلوك.

ثانياً: علاقة المسلم مع كتاب ربه: قال تعالى: ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾[الأعراف: 3]، تؤكد الآية وجوب الالتزام بتعاليم الإسلام وطاعة أوامر الله واجتناب نواهيه بوصفه الخالق العليم بمصالح عباده، مع التحذير من ترك الشريعة أو الشرك، ويشير قوله تعالى :﴿قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ إلى ضعف وعي كثير من الناس بالحق والهداية [2].

في ضوء ما تبيَّن لنا من تفسير هذه الآية الكريمة تُبرز هذه الآية أنَّ علاقة الإنسان بكتاب ربّه تقوم على الاتباع والامتثال، بما يجعل الوحيَ المرجعَ الأعلى في بناء التصور العقدي وصيانته من الانحراف

(1) ينظر: التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، نشر الدار التونسية للنشر – تونس، في سنة 1984 هـ، 8 \ 169.

(2) يُنظر: التفسير الوسيط للطنطاوي، محمد سيد طنطاوي، نشر في دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، 1997 – 1998 م،ج55 \ 245

ثالثاً: علاقة المسلم بنبيه محمد ﷺ: قال تعالى ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾[الأعراف: 158] تُؤكّد الآية عالمية الرسالة الإلهية وانفراد الله بالملك والعبادة، بما يُحصّن الفكر من الشرك والانحراف، ويُثبت صدق رسالة النبي ﷺ وأن الهداية لا تتحقق إلا باتباعه بوصفه رسولًا إلى البشرية جمعاء [1].

تُؤسّس لنا هذه الآية علاقةَ المسلم بنبيّه ﷺ على الإيمان برسالته ووجوبِ اتّباعه، بما يجعل السنَّة النبوية أصلًا في ترسيخ الهداية وحفظ البناء العقدي من الانحراف

رابعاً: علاقة المسلم مع أخيه الإنسان: تبين ذلك في قوله تعالى ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [الأعراف: 199] تُرسّخ الآية نظامًا أخلاقيًا قائمًا على التسامح والأمر بالمعروف والإعراض عن الجاهلين، جاعلةً القرآن مرجعًا للوعي الأخلاقي وضبط العقل والسلوك لبناء مجتمعٍ مسالمٍ صالح [2].

نفهم في ضوء هذا التفسير فإنَّ التحصين العقدي لا يقتصر على تصحيح المعتقد، بل يمتد إلى تهذيب العلاقة بين المؤمنين على أساس الأخلاق الشرعية التي تصون وحدة الصف واستقامة السلوك.

المحور الثاني : القرآن الكريم وأثره في مواجهة الغزو الفكري:

تُقدّم سورة الأعراف الغزوَ الفكري بوصفه سببَ الانحراف الرئيس، مفكّكةً آلياته النفسية واللغوية، ولا سيما في قصة آدم وإبليس، لتجعل القرآن مرجعًا وقائيًا يحفظ الهوية من التشويه والانحراف [3].

وسيتحقق هذا المحور من معالم الموضوع عبر القضايا الآتية:

النقطة الأولى: تشريح "جناية التجريد": هنا يقوم على ترسيخ الإيمان بوحدانية الله, وقطع كل تعلّقٍ بغير الله في باب الغيب (رفض الدجل والخرافة)، لأن قابلية الوسوسة تتغذى من ضعف اليقين وغياب

(1) يُنْظَر: خواطري حول القرآن الكريم, محمد متولي الشعراوي (ت 1418هـ) ,نُشِر في مطابع/مؤسسة أخبار اليوم , القاهرة (مقر مؤسسة أخبار اليوم: بولاق – القاهرة) ، 7 \ 4385

(2) ينظر: اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي (ت بعد 880 هـ)، حققه وعلَّق عليه الشيخ أحمد عبد الموجود،، نُشرَ في دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط 1، الأولى، 1419 هـ -1998 م، 9 \ 100

(3) ينظر: https://khutabaa.com/ar/article/موقع الجزيرة دوت كوم، موضوع بعنوان منهج القرآن الكريم في تحصين الفكر من الانحراف، أ. د. عبدالله بن إبراهيم بن علي الطريقي، بتاريخ 14- 12- 2025، عند الساعة 21.00

الاحتراس ، كما في قوله تعالى: ﴿يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا﴾ [الأعراف: 27 الآية تحذيرٌ لبني آدم من فتنة الشيطان التي تُخرج عن الاستقامة [1].

وهكذا يتبيّن في عصرنا الحاضر أنَّ ثَمَّةَ صورًا من الغزو الفكري تستهدف إضعاف الحصانة الأخلاقية تحت مسمّياتٍ متعدّدةٍ برّاقة، بما يفضي إلى تآكل منظومة القيم في المجتمع.

النقطة الثانية: خطط "تغيير المسميات" و"ادعاء النصح" : ت قوله تعالى: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ [الأعراف: 21]، معنى قوله تعالى "وَقَاسَمَهُمَا" أي أقسمَ لهما وحلف، ومعنى "إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ" أي زعم أنه ناصحٌ لهما "في هذا الأمر"، فجعل القسمَ ستارًا لتغريرهما وإيقاعهما في المخالفة [2].

يُبيّن لنا سورة الأعراف أن التلاعب بالمصطلحات من أخطر أساليب الغزو الفكري، كما في مؤكِّدةً أن التحصين العقدي يقوم على الوعي النقدي وكشف حقيقة الشعارات المزيَّفة.

النقطة الثالثة: خطورة "الانسلاخ" وسقوط النخبة (قصة الذي آتيناه آياتنا): تكشف سورة الأعراف أن الغزو الفكري يمتد إلى دائرة النخبة الفكرية عندما تتسلل الشكوك والمصالح إلى عقولهم، كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾ [الأعراف: 175-176]. تكشف هذه الآيات ظاهرةً السعي خلف الهوى، إذا ما أصبح العالم أسيرًا للشهوات، فتحول علمه إلى ضلال يُستغل فيه لتحقيق مكاسب مادية.[3]

---

(1) ينظر: تفسير المنار, محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (ت 1354هـ) , نُشِرَ في الهيئة المصرية العامة للكتاب ، لسنوة 1990م, 8 \ 322

(2) ينظر: محاسن التأويل, محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت 1332 هـ)، حققه محمد باسل عيون السود، نُشِرَ في محمد باسل عيون السود، ط 1، 1418 هـ , 5 / 25

(3) ينظر: تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت : 510هـ)، حققه عبد الرزاق المهدي، نشر في دار احياء التراث العربي_ بيروت ط ١، 1420 هـ، 2 \ 250، 251

المحور الثالث: السُّنة النبوية كبيانٍ للقرآن (وحدة المصدر) لمواجهة الغزو الفكري:

تؤكد سورة الأعراف تكامل القرآن والسنة في بناء التحصين الفكري وتحويل القيم إلى سلوك منضبط، مع وحدة المصدر تُعدّ لزوميّةُ الالتزام بالمنهج النبويّ ضمانةً منهجيّةً للحدّ من التأويلات المشوّهة، كما يتضح في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف: 157],وتشمل مواجهة الغزو المعرفي أبعادًا تتعلق بالمعرفة والتشريع الفكري والسلوك [1], وتندرج تحته النقاط التالية:

النقطة الأُولى" النبي الأمي": استقلالية المصدر المعرفي (نفي التبعية الثقافية): لمراد بـ {الرسول النبي الأمي} هو محمد ﷺ، أن السياق يُبيّن أن "الرحمة" الموعودة في الآية السابقة كُتبت لأمته، إذ لا يُعرف رسول وُصف بـ"الأمي" بهذه الدلالة في هذا المقام غيره [2].

يبين لنا هذا التفسير يثبت عصمة مصدره القائم على الوحي الخالص، مؤسِّسًا لاستقلال المرجعية المعرفية وبناء الهوية الحضارية للأمة على الوحي والفطرة السليمة.

النقطة الثانية ضبط منظومة القيم: يُبرز النص أن التراخي الأخلاقي من أخطر آثار الغزو الفكري لخلطه بين المعروف والمنكر، ويؤكد أن الحصانة الفكرية لا تتحقق إلا بالالتزام بالميزان الشرعي الثابت كما في قوله تعالى: ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾، دون إعادة تعريف الانحراف تبعًا للأهواء.[3]

النقطة الثالثة السيادة التشريعية: "ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث": ينقل النص الحصانة من البعد الأخلاقي إلى التشريعي، مؤكدًا أن التحليل والتحريم حقٌّ إلهيٌّ بالوحي إلى النبي ﷺ، وأن

(1) ينظر: مفصل تفسير سورة الأعراف، الجزء الأول، أ. د. عبد السلام مقبل المجيدي, نشر في مكتبة الاسرة العربية، اسطنبول ط ١، سنه الطبع 2023 م، ص ١٥٤

(2) ينظر: تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (224 – 310 هـ)، حققه د عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع: مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هـ – د عبد السند حسن يمامة، نشر في دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان – القاهرة، مصر ، ط 1, 1422 هـ – 2001 م، 10 / 489

(3) ينظر: تفسير الجامع لإحكام القرآن، أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي, حققه احمد البردوني وابراهيم اطفيش نشر في دار الكتب المصرية_ القاهرة، ط٢، 1384 هـ _ 1964 م ، 7 \ 298

الحصانة الفكرية تتحقق باستقلال المرجعية التشريعية وحصر الحكم فيما أباحه الله عَزّ وَجَلْ دون الخضوع للقوانين الدخيلة.[1]

النقطة الرابعة تحرير العقل البشري: "ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم": يؤكد النص أن التحرر الحقيقي للعقل يتحقق باتباع المنهج النبوي الذي يكسر قيود الخرافة والمادية، خلافًا لادعاء أن الدين قيد، محذرًا من عودة الاستعباد الفكري بصوره الحديثة حين تُهجر الهداية النبوية وتُصرف العبادة لغير الله عَزّ وَجَلْ [2].

النقطة الخامسة: لِمَا تقتضيه العلاقة العضوية بين نصرة النبي ﷺ وبلوغ الفلاح

(فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ): تُحدّد الآية عوامل الفلاح في الإيمان والنصرة واتباع النور بترتيبٍ منهجيٍّ لبناء الحصانة الفكرية، مؤكدةً أن أعظم نصرةٍ للنبي ﷺ اليوم هي تطبيق سنته منهجَ حياةٍ وفكرٍ يبدّد الشبهات بيقين.[3]

يخلص الاستدلال إلى أن برنامج التحصين الفكري في سورة الأعراف يقوم على ركنين متكاملين: ترسيخ الصلة بالمرجعية الدينية، وتفكيك آليات الغزو الفكري بكشف التجريد وتزييف المصطلحات وانهيار النخبوية. ويؤسس هذا الإطار مشروعًا تحصينيًا شاملًا يدمج القرآن والسنة لتنظيم القيم والتشريع وتحرير العقل, كما قال الله تعالى:﴿ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ ﴾ [الأعراف: 157].

المطلب الثاني: الإنسان بين مقتضيات الاستخلاف وعوامل الانحراف.

يندرج تحت هذا المطلب محوران رئيسان: يتناول الأول الإنسان بين مقتضيات الاستخلاف، فيما يختص الثاني ببيان أهم عوامل الانحراف، على أن تُفصَّل النقاط المندرجة تحت كل محور في مواضعها اللاحقة.

المحور الأول, الإنسان بين مقتضيات الاستخلاف: يندرج تحت هذا المحور عددٌ من النقاط الرئيسة، سيتم تناولها وبيانها على النحو الآتي:

أولاً: ممقتضيات الإستخلاف هو الميثاق الأصلي للفطرة الإيمان بالله: كما جاء في آية الميثاق قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ١٧٢ ﴾ الأعراف [172]، تؤكد الآية

(1) ينظر : تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت 982هـ)، نشر في دار إحياء التراث العربي – بيروت, لسنة 1431 هـ , 3 \ 279

(2) ينظر: أثر القرآن في تحرير الفكر البشري، عبد العزيز جاويش، مطبعة النهضة، القاهرة، 1928م، ص 12

(3) ينظر: تفسير المنار ، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد بن شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفه القلموني الحسيني (ت ١٣٥٤ هـ)، نشر في الهيئة المصرية العامة للكتاب،سنة ١٩٩٠ م، ٩/ 198

ميثاق الفطرة القائم على الإقرار بربوبية الله سبحانه وتعالى وخالقيته أساسًا للاستخلاف، وأن استحضاره منطلق الحصانة الفكرية التي تثبّت القلب أمام الشبهات وتهدي مسيرة الإنسان بالبصيرة [1].

بيّن لنا هذه الآية أنَّ الإيمان بالله ميثاقٌ أصيلٌ مودَعٌ في فطرة الإنسان، وهو الأساس الذي تنبني عليه مقتضياتُ الاستخلاف؛ إذ لا ينهض الإنسان بوظيفته في الأرض إلا على وعيٍ ربانيٍّ سابقٍ يربطه بخالقه.

ثانياً: مقتضيات الإستخلاف تمكين المؤمنين على الأرض: كما جاءت في الآية الكريمة:﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الأعراف :10]، تُبيّن الآية أن تمكين الإنسان في الأرض نعمةٌ إلهيةٌ مشروطةٌ بالشكر والامتثال لهداية الله سبحانه وتعالى، وأن جحودها مدخلٌ للانحراف الفكري، فجاء التذكير بمصدر النعمة وغاية الوجود تحصينًا للعقل من الضلال[2].

في ضوء ما فهمنا في تفسير هذه الآية الكريمة برز هذه الآية أنَّ التمكين في الأرض من مقتضيات الاستخلاف الإلهي، وأنَّه ليس مجرد عطاءٍ ماديّ، بل هو ابتلاءٌ مرتبطٌ بالشكر وحسن القيام بوظيفة الإنسان في العمران والإصلاح.

ثالثاً مقتضيات (الاستخلاف) ليس مهمة فردية فقط، بل دعوة لوعي جماعي وحضاري: يقول سبحانه وتعالى:﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأعراف :35]، تُبيّن الآية أن الاستخلاف والإصلاح رسالةٌ موجهة إلى البشرية جمعاء تقوم على هدي الرسل، وتجعل التقوى والإصلاح مشروعًا حضاريًا جماعيًا يُحصّن الفكر ويضمن استمرار الاستخلاف بصلاح المجتمع والتزامه بالوحي.[3]

المحور الثاني أهم عوامل الإنحراف تندرج تحته النقاط الآتية:

أولاً: أعظم عامل انحراف هو الشرك قال تعالى:﴿ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ **يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا** فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [الأعراف :70]، تُبيّن الآية

(1)ينظر: :تفسير الشعراوي= الخواطر، محمد متولي الشعراوي (ت 1418هـ)، نُشِرَ في مطابع أخبار اليوم، 7 \ 4442

(2) ينظر: تفسير أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشيخ محمد الأمين الشنقيطي (ت 1393هـ)، نُشِرَ في دار الفكر، 3 \ 10

(3) يُنظر: تفسير الشعراوي _ الخواطر، محمد متولي الشعراوي (ت ١٤١٨ هـ) ، نشر في مطابع اخبار اليوم، ٧ / ٤١٣٥، ٤١٢٦.

أن سخرية قوم هود عليه السلام من دعوة التوحيد وتمسّكهم بشرك الآباء جعلت الشرك والعادات الباطلة سببًا رئيسًا لضلال العقل وفقدان الحصانة الفكرية عن إدراك الحق.[1]

ثانياً: إتباع الشبهات: قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٢ ﴾ [الأعراف :22]، تُبيّن الآية أن الانحراف الفكري يبدأ بزرع الشك والتزييف كما وقع لآدم وحواء عليهما السلام، وتؤسس لمبدأ التحصّن الفكري القائم على الحذر من الإغراءات وجعل الوحي الإلهي مرجعًا لحماية العقل من الضلال.[2]

ثالثاً: إتّباع الشهوات وإتّباع الهوى: قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةٗ قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٢٨ ﴾ [الأعراف :28]، تُجسّد الآية نموذجًا للانحراف الفكري القائم على التقليد الأعمى ونسبة الباطل إلى أمر الله سبحانه وتعالى، مؤكدة ضرورة إحياء العقل السليم والحدس القويم لضبط السلوك وفق مبادئ الوحي الإلهي.[3]، كما ورد في السُّنَّة النبوية الشريفة حديثٌ يتصل بهذا الموضوع ويُعزّز معانيه: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "حُجِبَتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ، وَحُجِبَتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ"[4].

رابعاً: الإنحراف السلوكي والأخلاقي: قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٠ ﴾ [الأعراف :80]، تُبيّن قصة النبي لوط عليه السلام أن الانحطاط الأخلاقي الناشئ عن اتباع الشهوة المخالفة للفطرة وتجاوز حدود الله عز وجل يقود إلى الفساد، وتؤكد ضرورة ترسيخ قيم الوحي والعقل السليم لصيانة الطبيعة البشرية وحماية المجتمع [5], **نموذج ثاني للإنحراف السلوكي: قال تعالى:** ﴿فَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ

---

(1) يُنظر: تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (224 – 310 هـ) , ، 10 \ 279

(2) يُنظر: اوضح التفاسير، محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب (ت 1402 نشر في دار احياء التراث العربي_ بيروت، ط ٣، 1420 هج)، نُشِرَ في المطبعة المصرية ومكتبتها، ط 6، رمضان 1383 هـ – فبراير 1964 م، 1 \ 181

(3) يُنظر: مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت 606هـ)، نشر في دار احياء التراث العربي_ بيروت، ط 3, 1420 هـ , 14\ 225

(4) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب حجبت النار الشهوات ،٨ /١٠٢، رقم الحديث ٦٤٨٧

(5) يُنْظَر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت 468هـ)، حققه وعلَّق عليه الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، د. أحمد محمد صيرة، د.أحمد عبد الغني الجمل، د. عبد الرحمن عويس، نُشِرَ في دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط 1، لسنة 1415 هـ – 1994 م، 2\ 385

وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [الأعراف :85]، تُبيّن الآية أن التلاعب بالميزان انحرافٌ أخلاقي وفكري قبل كونه فسادًا اقتصاديًا، ويقوم التحصين الفكري على ترسيخ مراقبة الله ومبدأ العدل بوصفهما شرطًا سابقًا لاستقامة المعاملة [1].

ويُمكن تلخيص أبرز النتائج المتحصّلة من هذا المطلب ويتبين مما تقدم ,يخلص النص إلى أن رعاية الإنسان مشروعٌ حضاريٌّ قائم على الإيمان الفطري والتمكين المشروط بالطاعة، وأن التحصين الفكري يتحقق بالرجوع إلى الوحي وإحياء الفطرة وبناء القيم الأخلاقية في مواجهة الشرك والشبهات والانحرافات.

المطلب الثالث: مقومات التمكين الحضاري في نماذج سورة الأعراف

يندرج هذا المطلب ضمن أربعة محاور رئيسة: يتناول المحور **الأول** التأصيل المفاهيمي للتمكين في علاقته بالاستخلاف والابتلاء، ويبحث المحور **الثاني** المقومات المعنوية للتمكين من حيث الصفات الذاتية للجيل المُمكَّن، بينما يركّز المحور **الثالث** على المقومات المادية والعملية المتمثلة في الإصلاح والعدالة، ويُعنى المحور **الرابع** بدراسة موضوعية لنماذج التمكين بين صور النجاح والإخفاق.

المحور الأول التأصيل المفاهيمي: التمكين بين "الاستخلاف" و"الابتلاء": يؤكد النص أن ضبط المفاهيم القرآنية شرطٌ منهجيٌّ لفهم التشريع، إذ تتكامل في سورة الأعراف الخلافة تكليفًا، والتمكين وسيلةً، والابتلاء ميدانًا للاختبار، بما ينقل الوعي من غطرسة السلطة إلى تحمّل المسؤولية الشرعية [2], ونبينها كما يلي:

اولاً: التمكين الاستخلافي: (أدوات العمارة لا محض السيادة): تؤسس الآية لمفهوم التمكين بوصفه منحةً إلهية شاملة تجمع بين إقرار الإنسان في الأرض وتوفير وسائل العيش، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الأعراف: 10], ويُفهم التمكين هنا على أنه منح القدرة مع تهيئة الوسائل، بما يحدد طبيعة العلاقة التكليفية بين الإنسان والأرض ويستدعي الشكر والمسؤولية [3].

ثانياً: جدلية التمكين والابتلاء: (لينظر كيف تعملون): تُقرّر سورة الأعراف أن التمكين ليس تشريفًا بل ابتلاءً ومسؤولية، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ

(1) ينظر تفسير لشعراوي، 7 \ 4236

(2) يُنظر: الولاء والبراء في الاسلام، محمد بن سعيد بن سالم القحطاني، قدم له الشيخ عبد الرزاق عفيفي، محمد قطب والشيخ عبد الرزاق عفيفي، نشر في دار الطيبة للنشر والتوزيع المملكة العربية السعودية – الرياض، سنه النشر 1988 م– 1408 حج، ط١، في سنة 2013 – 1435 هـ، ص٢٥.

(3) ينظر: تفسير الطبري ، 10 \ 73

لِلْمُتَّقِينَ ﴾ و﴿ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: 128–129]. ويقلب القرآن بهذا المفهوم التصور البشري للسلطة، جاعلًا إياها ميدان اختبار للشكر والعمل الصالح لا مكافأة للهيمنة.[1]، "**سقوط نظرية التمكين المادي:** تُبيّن سورة الأعراف أن التمكين المادي المجرد، كما عند عاد وثمود وفرعون، ليس تمكينًا حقيقيًا لافتقاده الغاية الإيمانية، إذ إن القوة والوفرة إذا لم تُقيَّدا بالإيمان والحصانة الفكرية تحوّلتا إلى سبب للهلاك، كما قال تعالى:﴿ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةًۖ ﴾ [الأعراف: 69] [2].

المحور الثاني: "المقومات المعنوية" للتمكين : ويمكننا استخلاص هذه المقومات المعنوية (النفسية والعقدية والعقلية) التي تشكل "الشخصية الاعتبارية" لجيل التمكين من خلال التوجيهات الموسوية والتعقيبات الربانية في السورة، وتحديداً في ثلاثة أركان رئيسية:

أولاً: المقومات المعنوية الاستعانة والتوكل: (التحرر من "الاستلاب النفسي" لسطوة المادة): تُبرز الآية أن أولى لبنات التحصين الفكري المفضي إلى التمكين هي تصحيح جهة الاعتماد، بتحويل الخوف من القوة المادية إلى التوكل على الله مسبب الأسباب، كما وجّه النبي موسى عليه السلام بني إسرائيل في مواجهة طغيان فرعون, قال تعالى: ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۖ ﴾ [الأعراف :128] [3].

ثانياً: المقومات المعنوية الصبر والمصابرة: (استراتيجية "النفس الطويل" والمناعة الصلبة): يُبرز النص أن طلب العون من الله جل في علاه والصبر ركنان أساسيان من أركان الإيمان في سبيل التمكين، فالصبر قوة فاعلة للثبات، لا استسلام؛ ولذلك، يُخلّف الصبر إرثًا ونصرًا، وهذا ما تؤكده الآية الكريمة حين يقول الله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْۖ ﴾ [الأعراف: 137], فالتمكين لا يكون إلا صمودًا واعيًا يحافظ على هويته ويواكب الإصلاح.[4]

(1) ينظر: تفسير القران العظيم،ابو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي(700 _ 774 هـ) حققه سامي بن محمد السلامة، نشر في دار طيبة للنشر والتوزيع_ الرياض_ السعوديه، ط٢، 1420 هـ _ 1999 م ، 3 \ 459

(2) يُنظر: تفسير الجامع لإحكام القرآن، أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، 7 \ 235

(3) يُنظر: منهج الرسول ﷺ في غرس الروح الجهادية في نفوس الصحابة، د. السيد محمد السيد نوح، نُشِرَ في جامعة الإمارات العربية المتحدة (الطبعة الأصلية)، دار الوفاء للطباعة والنشر، سنة النشر 1990 م – 1411 هـ، ص 10–16

(4) ينظر: التمكين للامة الاسلامية في ضوء القران الكريم، محمد السيد محمد يوسف نشر في دار السلام للطباعة والنشر ،مصر – القاهرة، 1418 هـ – 1997 م. ص ٢٣٥

المحور الثالثً: "المقومات المادية والعملية" (الإصلاح والعدالة): ويمكن بلورة هذه المقومات العملية في ثلاث ركائز كبرى استنبطناها من آيات السورة:

الركيزة الأُولى: من المقومات العملية الإصلاح الشامل (الاقتصادي والاجتماعي): "أمانة المعاملات": تربط السورة مفهوم الإيمان بالله عز وجل بالاستقامة في المعاملات المالية والقانونية، فالعدل هو معيار استمرار الحضارة من خلال التمكين، ويتضح ذلك من جزء من دعوة النبي شعيب عليه السلام لقومه: ﴿ فَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَاۚ ﴾ [الأعراف: 85]. وإذ غاب هذا المعيار، إنتشرَ الفساد قبل الهلاك.[1]

الركيزة الثانية: فاعليه النخبه المصلحه في المدافعه والمواجهه

تؤكد سورة الأعراف أن التمكين لا يُمنح للحياد والسلبية، بل لنخبة فاعلة تؤدي واجبها في الإصلاح بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومواجهة ظلم الفساد, ويتضح هذا من قصة منتهكي السبت، حيث نُجّيت الجماعة التي أمرت بالمعروف، كما قال الله تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَتۡ أُمَّةٞ مِّنۡهُمۡ لِمَ تَعِظُونَ قَوۡمًا ٱللَّهُ مُهۡلِكُهُمۡ أَوۡ مُعَذِّبُهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗاۖ قَالُواْ مَعۡذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ١٦٤ ﴾ [الأعراف: 164]. لذا، فإن السكوت أمام أي ظلم يُحرّم على المرء التمكين، ويُعرّض المجتمع للهلاك.[2]

الركيزة الثالثة من المقومات العملية الاجتماع ووحدة الصف: (الجسد الواحد): تُقرر سورة الأعراف أن التمكين الحضاري مشروط بوحدة الأمة في المنهج والغاية لا بالاجتماع الشكلي، وأن الانقسام يقود إلى الفتنة وزوال التمكين كما تجلّى في قصة نبي الله موسى عليه السلام,في قوله تعالى: ﴿ قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ ﴾ [الأعراف: 29]، حيث تعني الوحدة توحيد الهدف والالتزام بالمنهج الإلهي([3])

المحور الرابع: دراسة موضوعية لنماذج التمكين في السورة (النجاح والإخفاق) يندرج ضمن هذا المحور نموذجان:

---

(1)ينظر: فقه النصر والتمكين في القران الكريم، د. علي محمد الصلابي، دار المعرفه بيروت– لبنان، ط ٥، سنة ١٤٣٠ هج– ٢٠٠٩ ميلادي، ص272

(2) ينظر: تفسير مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت 606هـ)، 15 \ 393

(3) تفسير الطبري, 10 \ 139

النموذج الأول: التمكين "المرحلي" لبني إسرائيل (قصة الصعود والهبوط السريع): تُصوّر الآية لحظة الانتقال من الاستضعاف إلى التمكين بوصفه هبةً إلهيةً خالصةً بالوراثة دون قتال، كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ۖ [الأعراف: 137]. وتؤكد أن هذا التمكين ابتلاءٌ مشروطٌ بالطاعة وتحمل المسؤولية، لا امتيازًا دائمًا ولا ضمانًا مطلقًا.[1]

النموذج الثاني: التمكين "المطلق" للأمة الخاتمة (مشروع العالمية):

في مقابل النموذج الإسرائيلي الخاص والمؤقت، تطرح السورة في أواخرها نموذج التمكين المحمدي، الذي يتجاوز الزمان والمكان .قال تعالى: ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [الأعراف: 157]، خصائص هذا التمكين: **"عالمية الرسالة:** ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: 158]، فالتمكين هنا ليس لقومية أو عرق، بل لـ "فكرة" ومنهج يسع البشرية، **تحرير العقل** :﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَـٰلَ﴾ يؤكد النص أن التمكين الإسلامي تمكينُ تحريرٍ قائمٌ على الرحمة والعدل والهداية، وأن السيادة الحضارية للأمة مشروطة باتباع النور ﴿القرآن﴾، فإذا أُعرض عنه زال التمكين وعادت الأمة إلى الظلمات .[2]

تخلص الدراسة إلى أن التمكين في سورة الأعراف تكليفٌ ورسالة لإقامة العدل لا مكافأة للهيمنة، وأن الحصانة الفكرية شرطه الحارس، إذ ينهار التمكين بالجهل والتقليد الأعمى كما وقع لبني إسرائيل, كما تؤكد ضرورة اقتران القوة المادية بالتقوى، وتحذّر من سنة الاستبدال، بما يجعل سورة الأعراف مرجعًا أساسًا لفهم التمكين الحضاري.

الخاتمة

1. هذه دراسة منهجية تُحلِّل، بموضوعية، سورة الأعراف بوصفها نموذجًا متكاملًا للوعي الفكري وبناء الحصانة العقدية ضمن الخطاب القرآني الأوسع المتعلق بمفهوم التحصين العقدي.
2. تسعى الدراسة إلى تذليل التحديات التي تواجه بناء نظام فكري مستمد من القرآن الكريم، يمنع الالتباس المفاهيمي في أذهان المسلمين.

(1) ينظر: تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (700 – 774 هـ)، 3 \ 466

(2) ينظر: تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (ت 1354هـ)، 9 \ 254، 255

3. تربط الدراسة هذا النظام بأهداف تتصل بالاستخلاف في الأرض، وسنن الابتلاء، والتمكين من خلال الحضارة.
4. تُبرز الدراسة مشروعًا معرفيًّا قائمًا على مركزية الوحي والإيمان، وعلى تفكيك أنماط الانحراف من خلال النماذج التاريخية.
5. تؤكد الدراسة أن الخلل يبدأ من اضطراب التصور، لا من السلوك.
6. يتضمن التحصين العقدي نظامًا متكاملًا يبدأ من التطور القائم على الإيمان، ويمتد إلى الوعي النقدي، وينتهي بالسلوك الحضاري الذي تحكمه القيم والعدل.
7. خلصت الدراسة إلى أن التحصين العقدي مشروع حضاري جماعي، وشرط أساس لأي تمكين.
8. استخلصت الدراسة، من خلال سورة الأعراف، إطارًا قرآنيًّا أصيلًا لإعادة بناء العقل المسلم ومواجهة التحديات المعاصرة.
9. ترى الدراسة أن مواجهة التحديات المعاصرة يمكن أن تتحقق من خلال تفكير منطلق من العقل المسلم المؤسَّس على الوحي والإيمان.

التوصيات:

1. ضرورة إعادة بناء الخطاب العقدي والتربوي على أساس المرجعية القرآنية والنبوية، بوصف الوحي, المصدر الأساس في ضبط التصور والقيم والسلوك.
2. الإفادة من سورة الأعراف في تأسيس إطار علمي ومنهجي لبرامج التحصين العقدي، لما اشتملت عليه من بيان لمسارات الهداية والضلال، والابتلاء والتمكين، والاستخلاف والانحراف.
3. توجيه الجهود العلمية والتربوية إلى ترسيخ الصلة بالله تعالى، وبالقرآن الكريم، وبالسنة النبوية، مع تنمية الوعي النقدي القادر على كشف الشبهات وآليات الغزو الفكري.
4. ربط التحصين العقدي بمعالجة أسباب الانحراف من جذورها الفكرية، مع العناية بالبعد الأخلاقي والعملي، بما يحقق سلوكًا حضاريًا قائمًا على القيم والعدل والإصلاح.
5. التأكيد على أن التحصين العقدي مشروع حضاري جماعي، يقتضي تكامل أدوار الأسرة والمؤسسات التعليمية والبحثية والدعوية، مع الدعوة إلى مزيد من الدراسات القرآنية الموضوعية في هذا المجال

المصادر والمراجع

1. أثر القرآن في تحرير الفكر البشري، عبد العزيز جاويش، مطبعة النهضة، القاهرة، 1928م.
2. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشيخ محمد الأمين الشنقيطي (ت 1393هـ)، نُشِرَ في دار الفكر.
3. أوضح التفاسير، محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب (ت 1402هـ)، نُشِرَ في المطبعة المصرية ومكتبتها، ط 6، رمضان 1383هـ – فبراير 1964م.
4. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم = تفسير أبي السعود، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت 982هـ)،دار إحياء التراث العربي – بيروت, سنة1431هـ .
5. التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، نشر الدار التونسية للنشر، تونس، 1984هـ.
6. التمكين للأمة الإسلامية في ضوء القرآن الكريم، محمد السيد محمد يوسف، نشر في دار السلام للطباعة والنشر، مصر – القاهرة، 1418هـ – 1997م.
7. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي, , حققه احمد البردوني وابراهيم اطفيش نشر في دار الكتب المصرية_ القاهرة، ط٢، 1384 هـ _ 1964 م .
8. جامع البيان عن تأويل آي القرآن = تفسير الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري
9. (224 – 310هـ)، حققه د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع: مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر، ود. عبد السند حسن يمامة، نشر في دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة – مصر، ط 1، 1422هـ – 2001م.
10. الخواطر حول القرآن الكريم = تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي (ت 1418هـ)، نُشِرَ في مطابع/مؤسسة أخبار اليوم، القاهرة (مقر مؤسسة أخبار اليوم: بولاق – القاهرة).
11. صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب حجبت النار الشهوات، 102/8، رقم الحديث 6487.
12. فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم، د. علي محمد الصلابي، دار المعرفة، بيروت – لبنان، ط 5، 1430هـ – 2009م.
13. اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي (ت بعد 880هـ)، حققه وعلَّق عليه الشيخ أحمد عبد الموجود، نُشِرَ في دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط 1، 1419هـ – 1998م.
14. محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت 1332هـ)، حققه محمد باسل عيون السود، نُشِرَ في محمد باسل عيون السود، ط 1، 1418هـ.
15. مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت 606هـ),نشر في دار احياء التراث العربي_ بيروت، ط ٣، 1420 هـ.
16. مفصل تفسير سورة الأعراف، الجزء الأول، أ. د. عبد السلام مقبل المجيدي, نشر في مكتبة الاسرة العربية، اسطنبول ط ١، سنه الطبع 2023 م.
17. معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت 510هـ), حققه عبد الرزاق المهدي، نشر في دار احياء التراث العربي_ بيروت ط ١، 1420 هـ .

18. منهج الرسول ﷺ في غرس الروح الجهادية في نفوس الصحابة، د. السيد محمد السيد نوح، نُشِرَ في جامعة الإمارات العربية المتحدة (الطبعة الأصلية)، دار الوفاء للطباعة والنشر، 1990م – 1411هـ.

19. موقع الجزيرة دوت كوم، موضوع بعنوان: «منهج القرآن الكريم في تحصين الفكر من الانحراف»، أ. د. عبد الله بن إبراهيم بن علي الطريقي، بتاريخ 14-12-2025، عند الساعة 21:00، على الرابط : https://khutabaa.com/ar/article/

20. الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي (ت 468هـ)، حققه وعلَّق عليه الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، ود. أحمد محمد صيرة، ود. أحمد عبد الغني الجمل، ود. عبد الرحمن عويس، نُشِرَ في دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط 1، 1415هـ – 1994م.

21. 20. الولاء والبراء في الإسلام، محمد بن سعيد بن سالم القحطاني، قدم له الشيخ عبد الرزاق عفيفي، ومحمد قطب، والشيخ عبد الرزاق عفيفي، نشر في دار الطيبة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية – الرياض، 1988م – 1408هـ، ط 1، 2013م – 1435هـ.

22. 21. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (700 – 774هـ), نشر في دار طيبة للنشر والتوزيع_ الرياض_ السعوديه، ط٢، 1420 هـ_ 1999 م ، 459/3.

23. 22. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (ت 1354هـ)، نُشِرَ في الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م.

24. 23. التفسير الوسيط للطنطاوي، محمد سيد طنطاوي، نشر في دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، 1997–1998.

Sources and References

1- Adwa’ al-Bayan fi Idah al-Qur’an bil-Qur’an, Sheikh Muhammad al-Amin al-Shinqiti (d. 1393 AH), published by Dar al-Fikr.

2- Al Jazeera Dot Com website, a topic entitled: “The Method of the Holy Qur’an in Fortifying Thought against Deviation,” Prof. Dr. Abdullah ibn Ibrahim ibn Ali al-Turayqi, dated 14-12-2025, at 21:00, at the link: https://khutabaa.com/ar/article/

3- Al-Jami‘ li Ahkam al-Qur’an, Abu Abdullah Muhammad ibn Ahmad al-Ansari al-Qurtubi, edited by Ahmad al-Barduni and Ibrahim Atfaysh, published by Dar al-Kutub al-Misriyya – Cairo, 2nd ed., 1384 AH – 1964 CE.

4- Al-KhawatirHawl al-Qur’an al-Karim = Tafsir al-Sha‘rawi, Muhammad Mutawalli al-Sha‘rawi (d. 1418 AH), published by Akhbar al-Yawm Press/Foundation, Cairo (headquarters of Akhbar al-Yawm Foundation: Bulaq – Cairo).

5- Al-Lubab fi ‘Ulum al-Kitab, Abu Hafs Umar ibn Ali ibn ‘Adil al-Dimashqi (d. after 880 AH), edited and annotated by Sheikh Ahmad Abd al-Mawjud, published by Dar al-Kutub al-‘Ilmiyyah, Beirut – Lebanon, 1st ed., 1419 AH – 1998 CE.

6- Al-Tafsir al-Wasit by al-Tantawi, Muhammad SayyidTantawi, published by Dar NahdatMisr for Printing, Publishing and Distribution, al-Fajjalah – Cairo, 1997–1998.

7- Al-Tahrirwa al-Tanwir, Muhammad al-Tahir Ibn ‘Ashur, published by the Tunisian Publishing House, Tunis, 1984 AH.
8- Al-Wala’ wa al-Bara’ fi al-Islam, Muhammad ibn Sa‘id ibn Salim al-Qahtani, with a foreword by Sheikh Abd al-Razzaq ‘Afifi, Muhammad Qutb, and Sheikh Abd al-Razzaq ‘Afifi, published by Dar al-Tayyibah for Publishing and Distribution, Kingdom of Saudi Arabia – Riyadh, 1988 CE – 1408 AH, 1st ed., 2013 CE – 1435 AH.
9- Al-Wasit fi Tafsir al-Qur’an al-Majid, Abu al-Hasan Ali ibn Ahmad ibn Muhammad ibn Ali al-Wahidi al-Naysaburi al-Shafi‘i (d. 468 AH), edited and annotated by Sheikh Adel Ahmad Abd al-Mawjud, Sheikh Ali Muhammad Mu‘awwad, Dr. Ahmad Muhammad Sirah, Dr. Ahmad Abd al-Ghani al-Jammal, and Dr. Abd al-Rahman ‘Uways, published by Dar al-Kutub al-‘Ilmiyyah, Beirut – Lebanon, 1st ed., 1415 AH – 1994 CE.
10- Awdah al-Tafasir, Muhammad MuhammadAbd al-Latif ibn al-Khatib (d. 1402 AH), published by the Egyptian Press and its Library, 6th ed., Ramadan 1383 AH – February 1964 CE.
11- Detailed of Surat al-A‘raf, Part One, Prof. Dr. Abd al-Salam Muqbil al-Maj, published by Maktabat al-Usrah al-‘Arabiyyah, Istanbul, 1st ed., year of publication 2023 CE.
12- Empowerment of the Islamic Ummah in the Light of the Holy Qur’an, Muhammad al-Sayyid Muhammad Yusuf, published by Dar al-Salam for Printing and Publishing, Egypt – Cairo, 1418 AH – 1997 CE.
13- Fiqh al-Nasr wa al-Tamkin fi al-Qur’an al-Karim, Dr. Ali Muhammad al-Sallabi, Dar al-Ma‘rifa, Beirut – Lebanon, 5th ed., 1430 AH – 2009 CE.
14- Irshad al-‘Aql al-Salim ilaMazaya al-Kitab al-Karim = Tafsir Abi al-Su‘ud, Abu al-Su‘ud al-‘Imadi Muhammad ibn Muhammad ibn Mustafa (d. 982 AH), Dar Ihya’ al-Turath al-‘Arabi – Beirut, year 1431 AH.
15- Jami‘ al-Bayan ‘an Ta’wil Ay al-Qur’an = Tafsir al-Tabari, Abu Ja‘far Muhammad ibn Jarir al-Tabari (224–310 AH), edited by Dr. Abdullah ibn Abdul Muhsin al-Turki, in cooperation with: the Center for Islamic Research and Studies at Dar Hajar, and Dr. Abd al-Sanad Hasan Yamamah, published by Dar Hajar for Printing, Publishing, Distribution and Advertising, Cairo – Egypt, 1st ed., 1422 AH – 2001 CE.
16- Ma‘alim al-Tanzil fi Tafsir al-Qur’an = Tafsir al-Baghawi, Muhyi al-Sunnah, Abu Muhammad al-Husayn ibn Mas‘ud ibn Muhammad ibn al-Farra’ al-Baghawi al-Shafi‘i (d. 510 AH), edited by Abd al-Razzaq al-Mahdi, published by Dar Ihya’ al-Turath al-‘Arabi – Beirut, 1st ed., 1420 AH.
17- Mafatih al-Ghayb = Al-Tafsir al-Kabir, Abu Abdullah Muhammad ibn Umar ibn al-Hasan ibn al-Husayn al-Taymi al-Razi, known as Fakhr al-Din al-Razi, Khatib al-Rayy (d. 606 AH), published by Dar Ihya’ al-Turath al-‘Arabi – Beirut, 3rd ed., 1420 AH.
18- Mahasin al-Ta’wil, Muhammad Jamal al-Din ibn Muhammad Sa‘id ibn Qasim al-Hallaq al-Qasimi (d. 1332 AH), edited by Muhammad Basil ‘Uyun al-Sud, published by Muhammad Basil ‘Uyun al-Sud, 1st ed., 1418 AH.
19- Sahih al-Bukhari, Book of Softening the Hearts, chapter: “Hellfire is veiled by desires,” 8/102, hadith no. 6487.
20- Tafsir al-Qur’an al-‘Azim, Abu al-Fida’ Isma‘il ibn Umar ibn Kathir al-Qurashi al-Dimashqi (700–774 AH), published by Dar Taybah for Publishing and Distribution – Riyadh – Saudi Arabia, 2nd ed., 1420 AH – 1999 CE, 3/459.
21- Tafsir al-Qur’an al-Hakim (Tafsir al-Manar), Muhammad Rashid ibn Ali ibn Muhammad Shams al-Din ibn Muhammad Baha’ al-Din ibn Munla Ali Khalifah al-Qalamuni al-Husayni (d. 1354 AH), published by the Egyptian General Book Organization, 1990 CE.

22- The Impact of the Qur'an on the Liberation of Human Thought, Abdul Aziz Jawish, Al-Nahda Press, Cairo, 1928 CE.
23- The Method of the Messenger in Implanting the Spirit of Jihad in the Souls of the Companions, Dr. al-Sayyid Muhammad al-SayyidNuh, published by the United Arab Emirates University (original edition), Dar al-Wafa' for Printing and Publishing, 1990 CE – 1411 AH.